مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

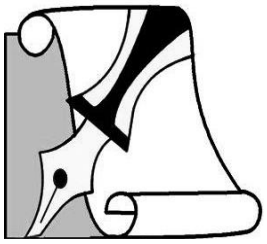

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

١ ــ إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

٢ ــ الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

٣ ــ بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

٤ ــ إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

العلاقات الإسرائيلية الفرنسية في ظل حكم ماكرون

١- مطالعة تاريخية:

إلى الآن لا يعرف إلا القلائل أنّ فرنسا وعدت الصهاينة بوطن قومي قبل أن تعدهم بـــه بريطانيـــا. فالمشهور هو فقط وعد أو تصريح بلفور A.J. Balfour الإنجليزي، وليس وعد أو تصريح جول كامبون (J.Cambon) وبيشون (S.Pichon) الفرنسيين، الأمر الذي فُتِح أمام الباحثين بعد مرور خمسين ســـنة وهؤلاء كشفوا عن وجود الوعود الفرنسية للصهاينة وتعاطف فرنسا مع إنشاء المستوطنات اليهودية وبعث الدولة العبرية في فلسطين. وقد كشفت الأبحاث أيضاً عن التنسيق بين الحركة الصـــهيونية مـــن جهـــة، وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى، بل عن التآمر بين الحلفاء ويهود العالم خـــلال ســـنتي ١٩١٧ و١٩١٨ على مستقبل بلاد العرب والمسلمين. ومن أجل ذلك قام مارك سايكس (M. Sykes)، المفاوض الإنكليزي بالعمل مع جورج بيكو (G. Picot) المفاوض الفرنسي، على تقسيم فلسطين بين بريطانيا وفرنسا، وكسر الطموح الفرنسي القائم على الإدّعاء التاريخي والنفوذ الروحي في جعل فلسطين فرنسية فقـــط. والخطـــوة الثانية التي خطاها سايكس هي جعل حصّة بريطانيا في التقسيم أكبر بكثير من الحصّـــة الفرنســـية. أمّـــا الخطوة الثالثة، فهي استعمال الضغط الصهيوني على فرنسا لكي تصدر تصريحاً لصالح الصهيونية فـــي فلسطين. وأمّا الخطوة الأخيرة، فهي ضمان السيادة البريطانية على فلســـطين باقتنـــاع اليهـــود عمومـــاً والصهيونية بالخصوص بأنّ ذلك أفضل لهم من السيادة الفرنسية عليها. وبعد التحضير لكل ذلك، صـــدر وعد بلفور المعروف. وقد بقيت مسألة السيادة على فلسطين مسألة حسّاسة بين فرنسا وبريطانيا. فـــاقترح سايكس ذات مرّة اسم أمريكا لكي تكون هي الحامية المحايدة لفلسطين. وكان ذلك قبل دخول أمريكا الحرب طبعاً، ولكن الفرنسيين رفضوا الاقتراح بحذر. ثمّ إن سايكس قد تراجع أيضا عن رأيه. وفي اجتماع عُقِـــد بباريس بين سايكس وبيكو وسوكولو وممثل الأرمن، طرح سوكولو الموضوع على بيكو بطريقةٍ مبسّـــطة قائلاً: "إنّ موقف الصهاينة حول السيادة هو موقف طفل يُسأل: هل يحب أمه أكثر من أبيه" (يعني بريطانيا

أو فرنسا)، ولذلك اقترح سوكولو أن تبقى المسألة بين الحكومتين. وكان واضحاً أنّ سايكس يستعمل الصهاينة ذريعة لتنفيذ المخطّط البريطاني في فلسطين.

لقد سبقت التصريح الفرنسي عدّة تمهيدات واتّصالات بين الزعماء الفرنسيين واليهود. فمن القاهرة أرسل بيكو برقية إلى الخارجية الفرنسية مؤكّدا فيها إصدار تصريح فرنسي يتعاطف مع آمال الصهيونية. وقد بنى بيكو رأيه على عدّة اعتبارات منها أنّه فهم أن الصهاينة سيتركون موضوع السيادة على فلسطين للحلفاء، وأنّ سوكولو اعترف له بأنّ الأماكن المقدّسة ستعرف وضعاً خاصاً، وأنّ الاستيطان (الاستعمار Settlement) اليهودي لن يشمل هذه الأماكن المقدّسة.

كما أنّ جول كامبون ودي مارجوري والبارون روتشيلد، وكذلك سيلفان ليفي وهو من "الرابطة الإسرائيلية العالمية" عقدوا عدّة اجتماعات. وقد عبّر سيلفان ليفي أثناءها بأنّه "من الطبيعي أن اليهود الفرنسيين غير صهيونيين، ولكنّهم يعترفون، بكل سرور، بأهميّة وقيمة الحركة الصهيونية". ومن جهةٍ أخرى، حرّر جول كامبون الفرنسي نفسه مذكّرة عن طبيعة اليهود والصهيونيّة عبّر فيها عن أنّه في صالح الاعتراف بموضع "تجمّع" اليهود في فلسطين، إلى جانب الجنسيات الأخرى (Nationalités) الموجودة فيها. ومهما كان الأمر، فقد بقى التصريح الفرنسي غير منشور، ولم يجرِ توزيعه إلاّ داخليّاً فقط وعبر السفارات. والمُفترض أنّه قد نُشر بين الدوائر اليهودية المؤثّرة. غير أنّه يُلاحظ في هذا الصدد أنّه لا الفرنسيون ولا الصهاينة قد نشروا محتوى التصريح علناً لأسبابٍ تتعلّق بكلٍّ منهم. والنتيجة هي أنّ التصريح الفرنسي قد شجّع على إصدار تصريح (وَعْد) بلفور الذي جاء بعده زمنياً، وأنه قد صدر عن حكومة كانت تعتبر منافسة لبريطانيا في فلسطين. وقد أعطى التصريح الفرنسي أيضاً لسايكس الفرصة المنتظرة للضغط على أعضاء الحكومة البريطانية وعلى من كانوا معارضين للآمال الصهيونية. ومن ثم أصبح سايكس قادراً على إثارة موضوع "التصريح البريطاني" على أنه مجرد "مصلحة قومية".

وها هو نص بيشون الموجّه إلى روتشلد: "كما اتّفقنا عليه خلال محادثاتنا يوم السبت التاسع من هذا الشهر، فإنّ حكومة الجمهورية (الفرنسية)، بالنظر إلى تحديد وجهة نظرها نحو الآمال الصهيونية العازمة على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، فقد نشرت مذكّرة في الصحافة. وإني إذ أقدّم إليك هذا النص،

فإني أغتنم الفرصة لتهنئتكم على إخلاصكم المتفاني الذي تابعتم به إنجاز آمال إخوانكم في الدين، ثمّ لأشكركم على الحماس الذي أظهرتموه لتقديم مشاعر التعاطف التي لقيتها جهودكم في بلدان الوفاق، وبالخصوص في فرنسا".

باختصار توجد بين فرنسا والكيان الغاصب علاقات تاريخيّة قويّة تعود حتى إلى ما قبل إعلان الدولة سنة ١٩٤٨، فقد كانت فرنسا من الداعمين للصهاينة ضدّ السلطات البريطانية في فلسطين، وساعدت في تسليح الإسرائيليين في حربهم الأولى ضدّ العرب، وهو ما عبّر عنه الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريس ذات مرة عندما قال: "بفضل فرنسا، استطعنا حيازة أسلحة للدفاع عن أنفسنا..لا أعرف أي بلد آخر ساعد إسرائيل كما ساعدتها فرنسا". وتعود الانطلاقة الأولى للعلاقة بين فرنسا وإسرائيل إلى العام ١٩٤٦ حين منحت باريس حق اللجوء لزعيم حزب العمل ورئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق ديفد بن غوريون وغيره من أعضاء تنظيم "هاغناه" الارهابي، الذراع العسكريّة الرئيسة للحركة الصهيونية، بعد أن طردتهم السلطات البريطانية من فلسطين. واستطاع بن غوريون أثناء وجوده في فرنسا إرسال كمّيات كبيرة من السلاح إلى فلسطين من دون أي عرقلة من السلطات الفرنسية. وقبل الإعلان عن "دولة إسرائيل" عام ١٩٤٨ صوّتت فرنسا في الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ في تصويت تاريخي لصالح قرار يقضي بإنشاء "دولة إسرائيل". وفي الـ٢٠ من ايار ١٩٤٩ اعترفت باريس بتل أبيب.

وقد تعزّز التقارب الإسرائيلي الفرنسي بفعل الصداقة الشخصيّة التي تربط زعيم الحزب الاشتراكي الفرنسي الأسبق والوزير في أكثر من حكومة غي موليه (Guy Mollet) بزعيم حزب العمل الأسبق بن غوريون. وبفضل علاقة الرجلين أخذ التعاون بين الطرفين مناحي عسكريّة ودبلوماسيّة عميقة.

وفي خمسينيات القرن الماضي عُرفَ عن رئيس الوزراء الفرنسي الأسبق جول موش (Jules Moch) ووزير الدفاع الأسبق بيير كوينغ (Pierre Koenig) ووزير الخارجية كريستيان بينو (Christian Pineau) تعاطفهم القوي مع إسرائيل.

وفي الوقت الذي حصلت فيه مصر عبد الناصر على صفقة السلاح الشهيرة عام ١٩٥٥ مع تشيكوسلوفاكيا، كان بن غوريون والرئيس الإسرائيلي الأسبق شمعون بيريس يفاوضان باريس من أجل شراء أسلحة فرنسية، حيث انتهى التفاوض ببيع فرنسا لتل أبيب طائرات عسكرية من نوع "ميستير ٤" (Mystère IV). وفي السنة نفسها وقّع البلدان في سرّيّةٍ تامّة اتّفاقاً يسمح بنقل تكنولوجيا الطاقة النوويّة الفرنسيّة إلى الكيان الغاصب، إذ أشرف الخبراء الفرنسيون على إقامة مفاعل ديمونة في صحراء النقب. فكانت فرنسا أوّل من فتح أمام إسرائيل باب امتلاك الطاقة النووية وكشفت لها أسرارها. وفي عام ١٩٥٦ وأثناء العدوان الثلاثي (الإسرائيلي الفرنسي البريطاني) على مصر، صوّت البرلمان الفرنسي حينذاك لصالح هذا التحالف بـ٣٨٦ صوتا مقابل ١٨٢. ورأت فرنسا في الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر أبرز مساند للثورة الجزائرية المناهضة للاستعمار الفرنسي. وساهمت فرنسا عام ١٩٥٨ في تشييد البنية التحتيّة الإسرائيلية كبناء طريق بئر السبع إيلات وتطوير ميناء حيفا. وفضلاً عن ذلك ساهمت فرنسا أيضاً في برنامج إسرائيل الصاروخي، إذ إن الصاروخ الإسرائيلي "شافيت" الذي تمّت تجربته عام ١٩٦٠ كان ثمرة تعاون فرنسي إسرائيلي.

وفي عام ١٩٦٢ تمّ توقيع بروتوكول تجاري يسمح بإنشاء منطقة تجاريّة حرة لبعض السلع المتبادلة بينهما، وسعت فرنسا لدى بعض الدول الأوروبيّة لتحذو حذوها وتوقّع بروتوكولاً تجاريّاً مع الكيان. وقد زوّدت فرنسا تل أبيب بطائرات "ميراج ٣" التي استعملها الجيش الإسرائيلي بكثافة في حرب حزيران ١٩٦٧.

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ فرنسا قد صوّتت لصالح خطّة التقسيم عام ١٩٤٧، وأقامت علاقات دبلوماسيّة مع العدو عام ١٩٤٩، وفي منتصف الخمسينات ساندت الموقف الإسرائيلي تجاه الحرب مع نظام الرئيس عبد الناصر في مصر، وباتت شريكاً لإسرائيل ومصدّراً للسلاح لها.

لكن الرئيس الفرنسي الراحل شارل ديغول اختار أن يفرض حظراً شاملاً على تصدير السلاح إلى إسرائيل خلال حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧. بل إنّ مشاعر العداء غلبت على السياسة الفرنسية تجاه إسرائيل بعد حرب يوم كيبور(يوم الغفران) عام ١٩٧٣، ثم تدهورت العلاقات الفرنسية الإسرائيلية في

سبعينات القرن العشرين بشكلٍ ملحوظ. لكنّها شهدت بعض التحسّن خلال ولاية الرئيس الفرنسي ميتـــران، وخلال ولاية الرئيس نيكولا ساركوزي للفترة من أيار ٢٠٠٧ حتى أيار ٢٠١٢ علماً أنّ الرئيس ساركوزي كان يهوديّاً من أصولٍ مجريّة.

٢ – اليهود في فرنسا:

يمثّل الشتات اليهودي الفرنسي واحداً من أقوى تجمّعات اليهود في العـــالم بعـــد الولايـــات المتحـــدة الأمريكيّة. وهو وجود غنيّ ثقافيّاً ودينيّاً وإعلاميّاً، وتقدّر أعداده بنصف مليون يهودي. ومنذ نهاية الحرب العالمية الأولى هاجر نحو ٨٠ ألف يهودي إلى فرنسا قادمين من شرق أوروبا التي تحوّلت إلى الشيوعية. وبعد أن أنهت فرنسا وجودها الاستعماري في شمال افريقيا، شهدت خمسينات وستينات القـــرن العشـــرين هجرة نحو ٣٠٠ ألف من يهود السفاراديم من الجزائر والمغرب وتونس ومصر إلى فرنســـا، ممّـــا غيّـــر التركيبة الديموغرافية للشتات الفرنسي، التي غلب عليها حتى ذلك التاريخ مكوّن اليهود الاشكنازيم القادمين من أوروبا الشرقية. اليوم، يمثّل يهود السفاراديم نحو ٦٠ بالمائة من ديموغرافيا الشتات الفرنسي بحســـب معطيات نشرها مؤتمر اليهود في أوروبا. ففي باريس وحدها يعيش نحو ٣٥٠ ألف يهودي، فيمـــا تضـــمّ مارسيليا ٧٠ ألفاً، وليون ٢٥ ألفاً، وتولوز ٢٣ ألفاً، ونيس ٢٠ ألفاً، وشتراسبورغ ١٦ ألفاً، وغرينوبـــل ٨ آلاف ونانسي ٤ آلاف. في باريس هناك ٢٠ مدرسة يوميّة يهوديّة، إبتدائيّة وثانويّة، علاوةً على ريـــاض الأطفال وحلقات التدريس الدينيّة. وتقدّم أغلب الجامعات الفرنسيّة دورات في الدراسات العبريّة، بما فـــي ذلك تعلّم لغات اليديش، ولادينو، والعبريّة. كما أنّ مركز راشي الذي يستضيف المركز الجامعي للدراسات اليهودية يوفّر كرّاسات للطلبة الأكاديميين.

في باريس أيضاً عدّة مكتبات يهوديّة، من بينها مكتبة ميدم Medem Library وهي أكبر مكتبة بلغة اليديش في أوروبا، كما يوجد فيها مركز التوثيق اليهودي المعاصر. وبإمكان المرء زيارة متحـــف الفـــن اليهودي. وهناك أيضاً متحف كلوني Cluny Museum الذي يضمّ مجموعة شتراوس روتشيلد النفيســـة

النادرة. كما أُنشئ في باريس نصب "الشهيد اليهودي المجهول"، ومركز توثيق جرائم الهولوكوست. وتستضيف فرنسا كل عام أسبوع الكتاب اليهودي وتحيي أسبوع الموسيقى اليهوديّة، وتقام فيها ندوة موسّعة عن الدراسات اليهوديّة، وندوات أخرى تتّصل بهذا الشأن. كما تنتشر في باريس فرق مسرح ورقص ناشطة بشكلٍ خاص. الصحافة اليهودية نشطة أيضاً، وأبرزها صحيفتان أسبوعيتان، وعدد من الصحف الشهرية وبضع مواقع إلكترونية تهتمّ بشؤون اليهود وثقافتهم. وتبثّ برامج يهوديّة أسبوعيّاً في الراديو والتلفزة، بما فيها برنامج تلفزيوني أسبوعي يُبَث منذ ٤٠ عاما. كما توجد محطّات يهوديّة إذاعيّة على موجة اف ام تنتشر في باريس والمدن الفرنسية الكبرى.

٣ – ماكرون ينتصر:

تُجمع التقديرات والتحليلات السياسيّة في فرنسا على أنّ الرئيس المنتخب الجديد إيمانويل ماكرون قد أحدث بفوزه زلزالاً سياسياً في فرنسا، وهو قد تمكّن من الإنقلاب على معادلة اليمين واليسار المعتادة في فرنسا، ليصبح أصغر رئيس في تاريخ الجمهورية الخامسة، في انتخابات وُصفت بالمعركة العالمية، ذلك أنّه قبل عامٍ واحدٍ فقط، كان وزيراً في حكومة أحد أقل الرؤساء شعبية في تاريخ فرنسا. لكنّه الآن، تمكّن من الفوز بالرئاسة ولمّا يبلغ من العمر ٣٩ عاما، بعد أن دحر مناوئيه من يمين الوسط ويسار الوسط واليمين المتطرّف.

وبالنسبة إلى النتيجة التي تمخّضت عن دورة الإقتراع الأولى فإنّها عكست تحوّلاً جذريّاً في المشهد السياسي الفرنسي، حيث أنّ مُمثّلي الأحزاب الفرنسيّة التقليديّة، وفي طليعتها مرشّحي حزبي اليمين المحافظ والإشتراكيّين، قد فشلوا في التأهّل إلى دورة الإقتراع الثانية، لصالح بروز شعبيّة ماكرون الذي أسّس حزبه منذ سنةٍ واحدةٍ فقط، ولوبان التي تُمثّل تيّاراً متطرّفاً لم يكن مقبولاً من شرائح واسعة من الفرنسيّين بالأمس القريب. ولا شكّ أنّ من بين الأسباب المُباشرة لهذا التحوّل في رأي الناخبين، الإتّجاه المُتزايد في فرنسا، وكذلك في أوروبا والعالم الغربي، نحو التعصّب العرقي ونحو التقوقع القومي بالتزامن مع نبذ الغرباء

والدخلاء على المُجتمع، والخوف من دخول الإرهابيّين إلى فرنسا ومن محاولة تطبيق الأفكار الدينيّة المُنغلقة داخل المُجتمع الفرنسي. وهذه الفئة من الناخبين هي التي سمحت لشخصيّة مُتشدّدة مثل لوبان بنيل أكثر من خُمس أصوات إجمالي الناخبين. كما أنّ النقمة على الأحزاب التقليديّة وفشلها في مُعالجة العديد من المشاكل الإقتصاديّة والإجتماعيّة والسياسيّة دفع ربع إجمالي الناخبين إلى التصويت لصالح شخصيّة سياسيّة ناشئة مثل ماكرون على أمل إحداث التغيير المطلوب. وبعد أن إنحصرت المنافسة الرئاسيّة بين ماكرون ولوبان، أظهرت إستطلاعات جديدة للرأي أنّ الأوّل سيفوز على الثانية، لأنّ السياسة الوسطيّة التي ينتهجها ماكرون ستجذب ناخبين من اليمين ومن اليسار الفرنسي في آنٍ واحد، ولأنّ التطرّف المُبالغ فيه للوبان سيدفع الكثير من الأشخاص المتخوّفين من سياستها الإنغلاقيّة إلى التصويت لصالح ماكرون بصفته الخيار الأفضل، أو حتى الأقلّ سوءاً بالنسبة للبعض. وبالتالي، من المُستبعَد جداً أن تتكرّر في فرنسا، مُفاجأة وصول دونالد ترامب آخر إلى منصب الرئاسة في الولايات المتحدة الأميركيّة، ومفاجأة خروج بريطانيا من الإتّحاد الأوروبي. والقضيّة ليست مُرتبطة بعمليةٍ إرهابيّةٍ هنا أو هناك خلال الفترة الفاصلة عن موعد الدورة الثانية، حيث أنّ المجموعات الرافضة لأفكار ولسياسات لوبان، مُتعدّدة وقادرة من خلال تكتّل أصواتها على إسقاط مُرشّحة اليمين المتطرّف.

٤ – شخصية ماكرون السياسية:

تبدو شخصية ماكرون السياسية وكأنّها مبتلاة بالتناقضات. "فالسياسي الجديد" كان أيضاً تلميذ الرئيس هولاند ووزير اقتصاده، والمصرفي السابق كان أيضاً يقود حركة شعبيّة، وهو أيضاً الوسطي الذي وضع خطّة لتفكيك القطاع العام.

تمتّع ماكرون بمزايا وصفات شخصيّة وقدرات خطابيّة تضامنت مع تقنيات التسويق السياسي ولغة الجسد، وقدّمت للفرنسيين صورة رئيس شاب واثق هادىء طموح ويمتلك مشروعاً خاصاً به. ماكرون الذي يستشهد بمقاطع من شعراء في خطاباته وصفه منافسه اليميني فرنسوا فيون بـ "المرشد الروحي".

وفي إشارة إلى دور التسويق السياسي في صنع صورة ماكرون علّق مدرّس مادة التسويق السياسي في عمادة كلية الإعلام في الجامعة اللبنانية، الدكتور روي جريجيري، على صفحته على الفيسبوك "أرى فيه نتاجاً للتسويق السياسي في أقصى تجليّاته: السياسة مسرح، على خشبته نجم شبّاك تذاكر، حفظ نصّه جيداً، تمرّن على أداء الحركات الجسدية المتلائمة مع النص، مع الإيقاع المناسب واللهجة المناسبة. وما همّها الجماهير إذا كان المستوى الفنّي ضعيفاً!". كما واستفاد ماكرون من سجّله النظيف وخبرته العمليّة التي كوّنها من خلال المراكز التي تولاّها في إدارات الدولة. وساعده أيضاً خوف الفرنسيين والمؤسّسات المالية والمصرفية ومستثمري أسواق المال من المصير المجهول لإقتصاد بلدهم، فيما لو تمّ الإنفصال عن الإتحاد الأوروبي وفق سياسة لوبان، وهو ما أطلق عليه عدد من رجال الإقتصاد "سيناريو الرعب" فيما لو فازت لوبان. وكمؤشّر على طمأنة أوروبا لوحدتها ارتفع اليورو إلى أعلى مستوى له مقابل الدولار خلال عام، بعد إعلان النتائج. وهو في حملته الانتخابية أدّى دور المتصدّي لخطر اليمين المتطرّف على القيم والمبادىء التي ميّزت الجمهورية الفرنسية، واستفاد من تصويت مسلمي فرنسا خوفاً من خطر لوبان على وجودهم.

وهكذا جذب ماكرون الشباب الفرنسي من خلال خطابه الداعي إلى الإعتدال وتجاوز الإنقسامات بين اليمين واليسار، ليصبح أوّل مرشح بلا حزب وبلا تجربة انتخابية سابقة يفوز برئاسة فرنسا، ويطمئن ليس فقط أوروبا ووحدتها بل العالم المعتدل.

لقد تطلّع ماكرون إلى حركات سياسيّة بزغ نجمها في أقطار أوروبيّة أخرى، مثل حركتي بوديموس في إسبانيا وحركة النجوم الخمس في ايطاليا، وتيقّن بأنه لا توجد حركة تغيير موازية في فرنسا. وفي نيسان ٢٠١٦، أسّس ماكرون حركة "إلى الأمام" الشعبية. وبعد ٤ أشهر من ذلك، استقال من حكومة الرئيس السابق فرنسوا هولاند. في هذا السياق تقول الصحفية الفرنسية ايميلي شولثايس أنّ ماكرون، بعد أن أسّس حركة "إلى الأمام"، تعلّم الكثير من الحملة الانتخابيّة التي قادها الرئيس الأمريكي السابق باراك اوباما ذات القاعدة الشعبية في عام ٢٠٠٨. وكان عمله الأول هو تنظيم "مسيرة كبرى" جنّد لها ناشطي حركته المتحمّسين ولكن المفتقرين للخبرة. وتضيف الصحفية شولثايس "استخدمت حملة ماكرون مناهج

استقيت من شركة للبحوث السياسيّة كانت نفسها عملت لصالح حملة أوباما عام ٢٠٠٨ للتعرّف على الأحياء والمناطق التي تمثّل فرنسا بشكل عام. وأرسلوا ناشطيهم لقرع ٣٠٠ الف باب على الأقل".

لم يكتفِ الناشطون بتوزيع المنشورات فحسب، بل أجروا ٢٥ ألف محادثة بلغ طولها ١٥ دقيقة تقريباً مع ناخبين في طول البلاد وعرضها. وأُدخلت المعلومات المستقاة من هذه المحادثات في قاعدة بيانات ساهمت في بلورة أولويات وسياسات حملة ماكرون. من ناحيةٍ أخرى تقول شولثايس: "كان ذلك جهداً جباراً بذلته حملة ماكرون من أجل استشراف مزاج البلاد وضمان تواصله مع الناخبين منذ وقتٍ مبكر، والتأكد من أنّ الناشطين يعرفون كيفيّة قرع الأبواب والتحدّث مع الناس. كان اختبارا وضع أُسس ما حقّقه هذه السنة".

أمّا زعيمة الجبهة الوطنية اليمينية المتطرفة مارين لوبان، منافسة ماكرون في الجولة الثانية من الانتخابات، من ناحيتها فقد استغلّت هذه التناقضات حيث قالت أنّه مرشح النخبة وليس السياسي المبتدئ كما يحلو له أن يدّعي. لكنّه تمكّن من تفادي محاولات تصويره كفرنسوا هولاند آخر، ونجح في خلق صورة خاصة كانت جذّابة بالنسبة لأولئك الذين كانوا يتوقون إلى شيءٍ جديدٍ في عالم السياسة الفرنسية.

يقول الباحث الفرنسي مارك اوليفييه باديس، "كان الجو العام في فرنسا يتميّز بالتشاؤم، بينما جاء ماكرون برسالةٍ متفائلة وإيجابية". ومضى للقول "فهو شاب ومليء بالحيوية، ولم يتطرّق إلى ما سيفعله من أجل فرنسا بل ركّز على كيف سيخلق فرصاً للناس. وكان المرشّح الوحيد الذي اعتمد هذا الخطاب". أمّا مارين لوبان فبدت الرسالة التي تبنّتها في حملتها الانتخابية سلبيّة (إذ كانت مُعادية للهجرة والاتّحاد الأوروبي والنظام السياسي القائم)، خصوصاً إذا قورنت بالرسالة التي بشّر بها ماكرون. وقد تميّزت تجمّعات حملة ماكرون الانتخابية بالأضواء الملوّنة والموسيقى الشعبيّة الصاخبة، حسبما تقول ايميلي شولثايس، بينما شابت تجمّعات حملة لوبان حوادث ألقى فيها محتجّون القناني الفارغة والألعاب النارية وسط وجود مكثّف للشرطة وجوّ يسوده الغضب والوجوم.

لقد اتّسمت المناظرة التلفزيونية الكبرى بين المرشحين بالعدائيّة، إذ تبادل المرشحان خلالها الإهانات. وبينما قال ماكرون إنّ لوبان تمثّل دور "داعية الخوف الكبرى" وتحاول تسويق إدّعاءات متطرّفة لا تختلف عن تلك التي كان يسوّقها والدها، اتّهمته لوبان بأنه دمية بيد الاشتراكيين وأداة لقطاع المال العالمي سيفعل كل ما تأمره به المستشارة الألمانية انغيلا ميركل.

ولكن الكثير من الفرنسيين ارتعبوا من احتمال أن تحكمهم رئيسة يمينيّة متطرّفة يمكن أن تزعزع استقرار البلاد وتؤدّي إلى انقسامها على نفسها، ورأوا في ماكرون آخر عقبة تقف في طريق تحقيق لوبان لطموحها. وكان ما كان.

في ما خصّ الموقف الفرنسيّ من القضايا العالمية الحامية، يتميّز ماكرون بدعواته المُتكرّرة إلى أن تلعب فرنسا سياسة متوازنة وغير مُنحازة. وبالنسبة إلى الحرب في سوريا مثلاً، يرفض ماكرون أن يكون مُنحازاً إلى جهة دون أخرى، حيث أنّه يعتمد سياسة رماديّة–إذا جاز التعبير، تحفظ لفرنسا موقعاً وسطيّاً يسمح لها بالتعامل بتوازن مع مختلف القوى. وبحسب المحلّلين الغربيّين، فإنّ ماكرون سيتجنّب الدخول طرفاً في صراعات الشرق الأوسط كافة، حيث يُتوقّع أن يلعب دوراً وسطيّاً وحياديّاً، أقرب إلى سياسة ألمانيا مثلاً منه إلى سياسة فرنسا المعهودة. تجدر الإشارة إلى أنّ ماكرون كان وعد في برنامجه الإنتخابي بأن يُعطي الأولويّة في حال فوزه للقضايا الفرنسيّة الداخليّة، من التعليم والثقافة مروراً بفرص العمل والإقتصاد وُصولاً إلى الأمن ومكافحة الإرهاب وكذلك تجديد العمل الديمقراطي، واضعاً الوضعين الأوروبي والعالمي في آخر سلّم الإهتمامات.

٥ – ردود الفعل الاسرائيلية:

بعد ساعاتٍ قليلة من إعلان نتائج الانتخابات الرئاسيّة التي حسمها ماكرون بنسبة تجاوزت الـ٦٦% من أصوات الناخبين مقابل ٣٤% لمرشحة "اليمين المتطرف" مارين لوبن، التي سارت على خطى ترامب في حملتها الانتخابية لكنها ضلّت طريق القصر، ذكرت صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية عبر

موقعها الإلكتروني بعض المعلومات السياسيّة والمواقف السابقة للرئيس الفرنسي الجديد، فيما يتعلّق بالقضية الفلسطينية، بشكلٍ خاص مؤكّدةً أن انتصار ماكرون في الانتخابات الرئاسيّة سيصنع نقطة تحوّل في العلاقات بين فرنسا وإسرائيل، التي كانت قد وصلت إلى "أدنى مستوياتها"، خلال فترة حكم فرانسوا هولاند. وتضيف الصحيفة أنّه برغم الخلافات، بقيت العلاقات الفرنسية الإسرائيلية خلال حكم هولاند جيّدة في كل ما يتعلّق بالاتّفاق النووي الإيراني. ولكن صعود ماكرون سيصنع فارقاً وسيزيد التنسيق بين الدولتين في شتّى المواضيع. وأبرزت الصحيفة تفاؤل رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بفوز ماكرون، الذي قال خلال تهنئته الرئيس الجديد "أتوقّع أن أتعاون مع الرئيس ماكرون لنواجه سويّاً التحديات التي تواجهها دولتانا"، حيث زعم نتنياهو أنّ "من أهمّ هذه التحديات الكبيرة التي يواجهها العالم، الإرهاب الإسلامي المتطرّف الذي ضرب باريس والقدس ومدن كثيرة في العالم"، مشدّداً على أنّ "فرنسا وإسرائيل حليفتان وأنا واثق من أنّنا سنواصل تعزيز علاقتنا الثنائية". وقال "إنّني أتطلّع إلى العمل مع الرئيس ماكرون للتعامل مع التحدّيات التي تواجهها الديمقراطيتان"، حسبما ذكرت صحيفة "جيروزاليم بوست" الإسرائيلية في موقعها الإلكتروني. وتابع نتنياهو "فرنسا وإسرائيل حليفتان قديمتان، وإنّني واثق من أنّنا سنواصل تعميق علاقاتنا". ورأت الصحيفة أنّ انتصار ماكرون شكّل "بشرى سعيدة جداً" سواء لإسرائيل أو للجالية اليهودية في فرنسا التي احتشدت ضد مرشّحة اليمين المتطرّف مارين لوبن، لأن ماكرون تربطه علاقات قوية باليهود في فرنسا وله أصدقاء مقرّبون من رجال الأعمال اليهود منذ أن كان يعمل مصرفياً في بنك روتشيلد.

وادّعى نتنياهو الذي يحاول تشويه سمعة المقاومة الفلسطينية ووصفها بالإرهاب، بشكلٍ مثابر، ومقاربتها بإرهاب "داعش"، أنّ فرنسا وإسرائيل هما "دولتان حليفتان وأنا واثق بأننا سنواصل تعميق العلاقات بيننا". وجاءت تهنئة نتنياهو هذه في الوقت الذي التزمت فيه إسرائيل في الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية في فرنسا، الصمت ولم تحاول إبداء أي موقف لصالح مرشّح محدّد، تحسّباً من أن يضرّ ذلك بها في حال خسارة المرشح الذي تدعمه، فيما أعطت إشارات خفيّة تأييداً لمرشح اليمين التقليدي، فرانسوا فيون، الذي خرج من الجولة الأولى للانتخابات.

كذلك هنّئ الرئيس الإسرائيلي رؤوفين ريفلين، إيمانويل ماكرون لفوزه برئاسة الجمهورية الفرنسية، موجّهاً له الشكر لموقفه الشديد المعارض لمعاداة السامية وكل أشكال العنصريّة والكراهية، التي ارتفعت بشكلٍ قبيح حول العالم. كما عرض ريفلين على نظيره الفرنسي مساعدة إسرائيل في الحرب ضدّ الإرهاب، وأكّد أنّ الوقوف أمام أصوات التعصّب والكراهية والدفاع عن مواطنينا ضدّ أعمال الإرهاب الشرسة هي مهمّة ذات أهمية كبرى، تشاركه فيها إسرائيل، وفقاً لصحيفة "تايمز أوف إسرائيل". وذكرت صحيفة معاريف الإسرائيلية أنّ كبار المسؤولين في المنظّمات اليهوديّة الفرنسيّة أعربوا عن رضاهم بنتائج الانتخابات الرئاسية الفرنسية، والتي انتهت بفوز المرشح ايمانويل ماكرون.

ونشرت الصحيفة تصريحاً للحاخام حاييم كورسيا، كبير حاخامات فرنسا، يقول فيه: "أنا سعيد جدّاً بانتصار قيم الجمهورية ....تحيا فرنسا التي دخلت حيّز العمل ضدّ اليمين المتطرّف".

وأضاف الحاخام: "أتمنّى لفرنسا العيش في فرح وازدهار ووحدة ووئام، وعلى القادة السياسيين أن يغيّروا من برامجهم حتى يستعيدوا ثقة الناخبين".

أمّا اريل كيندال المدير التنفيذي لمنظّمة "العالم الفرنسي"، فقال: "سادت لغة العقل وتحقّق الأمن لفرنسا بشكلٍ عام والمجتمع اليهودي بشكلٍ خاص".

بينما صرّح الدكتور موشي كنتور رئيس المؤتمر اليهودي الأوروبي قائلاً: "نحن نهنّئ ماكرون والشعب الفرنسي بعدما فازوا على الكراهية والتطرّف. وبالفعل كان التصويت لصالح فرنسا والاتّحاد الأوروبي وقيم الديمقراطية".

وقال رئيس الكونسيستوري (الهيئة الرئيسية لرعاية شؤون الديانة اليهودية في فرنسا)، الحاخام جوال مرجي، أنّ انتخاب ماكرون يجلب الارتياح للمجتمع اليهودي في فرنسا والأمة جميعها، في حين أعرب الحاخام الفرنسي الكبير حاييم كورسيا عن قلقه من الدعم الذي أسفرت عنه الانتخابات لصالح لوبان التي سعت إلى حظر اللباس التقليدي اليهودي والإسلامي في الحيّز العام، وحظر تقاليد الذبح الحلال والختان وفق الشرعيتين اليهودية والإسلامية.

ولفت الزعماء اليهود في فرنسا إلى أنّ نسب التأييد لحزب "الجبهة الوطنية" الذي تقوده لوبان بلغت أعلى مستوى لها منذ تأسيس الحزب عام ١٩٧٠ على يد والدها، منكر الهولوكوست، جان ماري لوبان.

وقال رئيس الكونغرس اليهودي الأوروبي، موشيه كانتور، "ما زال يراودنا شعور القلق من الدعم الذي حصلت عليه الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة، ليس فقط في فرنسا، إنّما في أوروبا عامة". وأضاف أنّ نتائج الانتخابات في فرنسا تدلّ على "انتصار فرنسا على الكراهية والتطرف".

من ناحيتها ذكرت صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية، أنّ الحكومة الإسرائيلية أعربت عن سعادتها لفوز إيمانويل ماكرون فى الانتخابات الفرنسيّة على حساب المرشحة اليمينيّة مارين لوبان.

٦ – تقلبات السياسة الخارجية الفرنسية:

مرّت العلاقات بين كيان العدو وفرنسا بالكثير من المدّ والجزر وكان المحرّك الأساس وراءها سياسات الرؤساء الفرنسيين المتعاقبين. وعلى مدى نحو سبعة عقود من تاريخ العلاقات الفرنسية–الإسرائيلية، أدّت فرنسا فيها دوراً مهمّاً، لجهة مدّها العدوّ الإسرائيلي بالتكنولوجيا والقدرة النوويتين، وبناء المفاعل النووي في ديمونة، ولاسيّما في إسهام الطائرات الفرنسية من نوع ميراج التي بفضلها قام العدو بحربه الخاطفة في حزيران من العام ١٩٦٧، وحقّق فيها بدعم الولايات المتحدة الأميركية نصراً كبيراً على الزعيم الراحل جمال عبد الناصر والحركة القومية العربية، عندما تمّ تدمير الطائرات المصرية وهي جاثمة في المطارات. هكذا بدأ العدو "حرباً إستباقيّة" احتلّ في نهايتها أربعة أضعاف مساحة الأراضي التي كان يحتلّها من قبل في الضفة الغربية والقدس الشرقية وسيناء والجولان.

في حينه أعلن الجنرال ديغول أمام مجلس الوزراء في ٢ حزيران ١٩٦٧: "إنّ الدولة التي ستكون البادئة في استخدام السلاح، لن تلقى تأييداً ولا دعماً من فرنسا". وفي خطوةٍ جريئة، أعلن مع انفجار الحرب حظراً على إمداد أطراف النزاع بالسلاح. وبعد أشهر، وخلال مؤتمر صحافي، لم تُحفظ منه سوى جملة مثيرة للجدل عرّف فيها اليهود بأنّهم "شعب واثق من نفسه ومتسلّط"، وأضاف أن "إسرائيل تنظّم

الاحتلال في الأراضي التي غزتها، وهذا ما سيؤدّي إلى الظلم والقمع والنفي، وحينها ستلقى مقاومة ستسمّيها إرهاباً". وفي حرب ١٩٦٧ أعلن الرئيس الفرنسي الأسبق شارل ديغول وقف تصدير السلاح الفرنسي إلى الشرق الأوسط بما في ذلك إسرائيل. وأكّد ديغول مسؤوليّة إسرائيل عن اندلاع تلك الحرب. وقد تعاقبت حكومات فرنسية ذات توجّه ديغولي حاولت أن تنتهج توازناً في سياساتها نحو العرب وإسرائيل، خاصّة حكومات الرؤساء جورج بومبيدو وجيسكار دستان، ثم الحكومة الاشتراكية في عهد الرئيس فرانسوا ميتران وأخيراً حكومة الرئيس الديغولي جاك شيراك.

ورغم التوازن في علاقات فرنسا الظاهر فقد ظلّ التعاون العسكري الفرنسي الإسرائيلي مستمراً في الخفاء، ففي العام ١٩٦٩ وقّعت فرنسا مع إسرائيل صفقة بيع أسلحة بشكل سرّي تقضي باستلام إسرائيل ١٢ زورقا، وعرفت الصفقة بزوارق شربورغ (Vedettes de Cherbourg). كما سلّمت فرنسا في ١٩٧٢ لإسرائيل قطع غيار لطائرات ميراج. ثم عرفت العلاقات الفرنسية الإسرائيلية في عهد الرئيس نيكولا ساركوزي طابعاً حميميّاً جسّدته التصريحات الصحفيّة المتكرّرة لساركوزي المؤيّدة للكيان، من تصريحاته تصريحه بامتناعه من مصافحة من يرفضون الاعتراف بما يسمّى دولة إسرائيل. ومثلما نُقل عنه من أنّ أمن إسرائيل خط أحمر، وأنّ قيام دولة إسرائيل معجزة وأنّه الحدث الأهم في القرن العشرين.

مجلة "لو نوفيل أوبسرفاتور" تساءلت في أحد عناوينها البارزة: "لماذا تخلّى ديغول عن إسرائيل"، موضحة: "ليس لفرنسا الديغولية أصدقاء بل لديها مصالح فقط". والسياسة الفرنسية تغيّرت كثيراً مع وصول شيراك إلى الحكم والرئيس الإشتراكي الفرنسي الراحل فرنسوا ميتران كان أوّل رئيس غربي يستقبل الرئيس الراحل ياسر عرفات، وكان أوّل مسؤول غربي يطالب من قلب الكنيست دولة الاحتلال بالتحاور مع منظّمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، ولم يمنعه تقاربه التاريخي والشخصي مع الكيان من المجاهرة بأنّ الحقّ هو للجميع في إشارة إلى حق الفلسطينيين بإقامة دولتهم. والرئيس الديغولي جاك شيراك عرض على الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد شراكة إستراتيجية عام ١٩٩٦، والعالم شهد صراخه في وجه الجنود الإسرائيليين في العام نفسه حين زار الأراضي الفلسطينية المحتلة في الضفة الغربية. لكن برغم ديغولية شيراك فإنه كان أوّل رئيس يعترف

بمسؤوليّة فرنسا التاريخية حيال يهودها، وهو ما لم يفعله حيال الجزائر، ومع ذلك فإن أرييل شارون وصف فرنسا في عهد شيراك بأنّها "الدولة الأكثر معاداة للسامية" رغم أنها كانت سبّاقة بإستقبال بن غوريون والهاغاناه والإعتراف بتقسيم فلسطين. بين ميتران والرئيس الإشتراكي ما قبل الأخير لفرنسا فرنسوا هولاند تغيّرت السياسة الفرنسية تغيّراً كبيراً. ولعلّ الرئيس اليميني نيكولا ساركوزي كان الأكثر مجاهرةً بالتقارب مع إسرائيل. فعل كل شيء لحمايتها ولضرب خصومها، سائراً بذلك خلف الأميريكيين. مواقفه دفعت الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريس للقول عام ٢٠٠٨ خلال زيارته الى فرنسا "لا أعرف أي بلد آخر ساعد إسرائيل كما ساعدتها فرنسا". هولاند سار على طريق ساركوزي وحزبه الإشتراكي مؤيّداً لكيان العدوّ، أمّا وزير خارجيته لوران فابيوس اليهودي فكان قريبا جداً منه ومعادٍ للجمهورية الإسلامية في إيران، ولعلّ مواقفه في محادثات جنيف حول البرنامج النووي الإيراني أبلغ دليل على عمق إلتزامه وحزبه وبلاده أمن دولة الاحتلال.

صحيح أنّ فرنسا دعمت السلطة الفلسطينية شفويّاً ولكن في المحصّلة لم تمنع الإسرائيليين من القيام بأي عمل ضد الفلسطينيين، ويبدو أنّ هولاند قد حاول أن يقدّم نفسه صديقاً للعدو في وقت تبدو العلاقات الأميريكية الإسرائيلية متوتّرة بسبب الملف الإيراني في عهد أوباما.

بالنسبة لماكرون من المؤكّد أنّ الحرب ضد الإرهاب ستكون لها الأولويّة فى أجندته خاصّةً بعد الهجمات التي طالت بشكلٍ متكرّرٍ قلب باريس وهدّدت أمن البلاد. وبدا من الواضح منذ وقتٍ مبكرٍ أن المشاركة العسكرية فى الحرب ضدّ الإرهاب بوجهٍ عام وضدّ تنظيم "داعش" في العراق وسوريا ستستمر. فبعد إعلان فوزه، أكّد ماكرون أنّ فرنسا "ستبقى فى الصفّ الأول فى مكافحة الإرهاب، على أرضها وفي التحرّك الدولي على حدٍّ سواء". وضمن الأمر الواقع ثمّة انتشار ما يقرب من ٤ آلاف جندي فرنسي فى منطقة الساحل والصحراء جنوب منطقة الشمال الأفريقي و١٢٠٠ آخرين فى الشرق الأوسط فى إطار مكافحة الإرهاب. وقد صرّح وزير الدفاع الفرنسي، جان ايف لودريان، يوم الثلاثاء ٩ أيار ٢٠١٧ أنّ بلاده ستواصل التزامها ضدّ تنظيم "داعش" في سوريا والعراق فى عهد الرئيس الجديد ماكرون، "وستكون هناك استمرارية فى الإلتزام الفرنسي بالتحالف" الذي تقوده الولايات المتحدة هناك. وفيما يتعلّق بالموقف

من سوريا يؤمن ماكرون بأن دور فرنسا يجب أن يتحدّد تماما بـــ" بناء السلام"، إنطلاقاً من رغبةٍ واضحةٍ في تقليص حجم التكاليف العسكرية والبشرية التى قد تتكبّدها فرنسا فى حال إطالة أمد الصراع المســـلح. فتحقيق السلام فى سوريا يعني لماكرون تمكين اللاجئين من العودة إلى أوطانهم الأصليّة وفتح الباب أمـــام المزيد من صفقات إعادة إعمار ما دمّرته سنوات الحرب هناك.

وبالتالى فإنّ أولويّات فرنسا كما أشار إليها ماكرون فى وقتٍ سابق تتعلّق بمحاربة تنظيم "داعش" أوّلاً، وفي الوقت نفسه القبول بالحلّ التفاوضي السياسي للأزمة السورية، ولا يـــرى مـــاكرون (حتـــى الآن) ضرورة للإطاحة بالرئيس الأسد كحلٍّ للأزمة. ولكنّه في الوقت نفسه طالبه بتقديم إجابات على الاتّهامـــات ضدّه بارتكاب جرائم أمام المحاكم الدوليّة على حدِّ رأيه. إلى جانب ذلك لا يعارض ماكرون مشاركة بلاده فى عمليات عسكرية ضدّ النظام السوري، ولكن مع التمسّك بأن يكون التدخّل تحت مظلّة مجلـــس الأمـــن الدولي.

وبحسب التوقّعات أيضاً، فإنّ ماكرون سيتّجه لتعزيز التعاون الاقتصادي والأمني مع إسرائيل بشـــكلٍ كبير، إذ أشار "مركز أبحاث الأمن القومي" الإسرائيلي إلى أنّ الرئيس الفرنسي الجديد أبدى، في الماضي، أثناء إحدى زياراته لتل أبيب، "حماساً لتعزيز التعاون مع إسرائيل، لاسيما في مجال المشاريع القائمة على المبادرة في المجال التكنولوجي والابتكارات والأبحاث". وفي ورقة تقدير موقف نشـــرها المركـــز علـــى موقعه، أعاد إلى الأذهان حقيقة أنّ ماكرون قد أبدى صراحةً رفضه لأنشطة حركة المقاطعة الدوليّة ضـــدّ إسرائيل "BDS". وفي المقابل، فإنّ الدراسة، التي أعدّها كل من المدير السابق للمركز، عوديـــد عيـــران، الذي شغل في الماضي منصب السفير الإسرائيلي في كلٍّ من الأردن والاتّحاد الأوروبي، والباحثة عيـــدي كونتور، تشير إلى أنّ ماكرون أعرب، في المقابل، عن رفضه لوجود "المستوطنات اليهودية". ويســـتدرك كل من عيران وكونتور إلى أنّ ساكن "الإليزيه" الجديد يمكن أن يُسهم في تقليص التحدّيات التي تواجههـــا حكومة اليمين المتطرّف في تل أبيب، بقيادة بنيامين نتنياهو، في الساحة الدولية.

ويتوقّع الباحثان أنّه بخلاف سلفه فرانسوا هولاند، فإنّ ماكرون لن يستثمر جهوداً كبيرة فـــي طـــرح مبادرات لحلّ الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

ووفق توقّعات عيران وكونتور، فإن تدنّي الخبرة السياسيّة لماكرون وتفضيله الأجندة الاقتصادية سيؤدّيان دوراً مهمّاً في دفع باريس لتجنّب المسار الذي اختطّه هولاند، والذي أحرج حكومة نتنياهو عندما عرض في شهر حزيران ٢٠١٥ مبادرة سياسيّة لحلّ الصراع مع الفلسطينيين، واستضاف مؤتمراً دوليّاً في باريس لمناقشة سُبل حلّ الصراع. ويُذكَر أيضاً أنّ وسائل الإعلام الإسرائيلية أشارت، في حينه، إلى أنّ نتنياهو اتّفق مع الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، على أن يقدّم الأخير مبادرة خاصّة لحلّ الصراع من أجل إقناع المجتمع الدولي والقوى الإقليمية بعدم التعاطي مع المبادرة الفرنسية. وتوقّعت الورقة أن يُفضي تطوّر العلاقات الألمانيّة الفرنسيّة المُتوقّع في عهد ماكرون إلى تعزيز "مكانة القوى الأوروبية الملتزمة بالواجب الأخلاقي تجاه الشعب اليهودي، والمتحمّسة لدعم إسرائيل وحقّها في الدفاع عن نفسها"، مستدركةً أنّ "هذا لا يعني عدم توجيه انتقادات بين الحين والآخر للأنشطة الاستيطانيّة اليهوديّة في الضفة الغربية".

وبحسب الدراسة، فإنّ إسرائيل ستتأثّر، بشكلٍ غير مباشر، بطابع ونمط السياسة الخارجيّة التي ستتبنّاها فرنسا في عهد ماكرون، لاسيّما موقفه من التدخّل الروسي في سورية.

من ناحيةٍ أخرى، توقّع "مركز يروشلايم لدراسة المجتمع والدولة"، الأكثر إلتصاقاً بدوائر صنع القرار في تل أبيب، أن تسهم التركيبة الشخصيّة لفريق ماكرون في إدارة السياسة الخارجية في تحسين العلاقات بين تل أبيب وباريس.

وفي ورقة تقدير موقف نشرها المركز، الذي يرأس مجلس إدارته دوري غولد، وكيل وزارة الخارجية الإسرائيلية السابق، جاء أنّ أكثر المرشحين لتولّي منصب وزير الخارجية في حكومة ماكرون هو جرارد أورو، الذي عمل في السابق سفيراً في إسرائيل، وعلى علاقة وثيقة بدوائر صنع القرار في تل أبيب.

وعلى الرغم من أنّ الورقة التي أعدّها سفير إسرائيل الأسبق في باريس، فاردي إيتان، قد توقّعت أن يواصل ماكرون دعم فكرة حلّ الدولتين، إلا أنّها تفترض أنه سيصرّ، في المقابل، على عدم فرض أي حلّ

لا يقبله طرفا الصراع الفلسطيني والإسرائيلي، وذلك بخلاف التوجّه الذي قاده وزير الخارجية الفرنسي السابق، لوران فابيوس.

وتتوقّع الورقة أن يتعاظم في عهد ماكرون التعاون الأمني وتبادل المعلومات الاستخباريّة بين إسرائيل وفرنسا في مجال مكافحة "الإرهاب الإسلامي".

ولفت إيتان الأنظار إلى أنّ علاقات ماكرون مع شخصيات يهوديّة فرنسيّة يمكن أن تُسهم في دفعه لتعزيز العلاقات مع الكيان الغاصب، مشيراً إلى أنّ الإقتصادي ورجل الأعمال اليهودي الفرنسي، جاك إيتلي، هو الذي سمح في حينه باستيعاب ماكرون في بنك "روتشيلد"، منوّهاً إلى أنّ إيتلي مقرّب جداً من قادة الحكم في إسرائيل. وأوضح إيتان أنّ ماكرون يرى في إيتلي "أستاذه وموجّهه في كل ما يتعلّق بالشؤون المصرفيّة والإقتصاديّة". وفي السياق، نوّهت صحيفة "معاريف" إلى أنّ ماكرون يرتبط بعلاقات شخصيّة قويّة مع وزير المالية الإسرائيلي السابق يائير لابيد، الذي يتزعّم حزب "يش عتيد" – يوجد مستقبل، الذي يمثل يمين الوسط.

في الوقت الراهن تعي فرنسا جيداً أنّ العرب يخطبون ودَّ واشنطن ورضاها رغم دعمها اللامشروط للعدوّ الإسرائيلي فما الذي يمنع باريس إذن من انتهاج السياسة نفسها؟ ثم ماذا استفاد العرب ممّا اعتبروه إهتماماً أو إنحيازاً فرنسيّاً لقضاياهم؟ فبرغم تعديل بعض الرؤساء الفرنسيين لسياسة بلادهم فإنّهم جميعاً يستخدمون العبارات التقليديّة الفرنسيّة نفسها ويتبنّون تقريباً المواقف نفسها مثل الإدانة الشفويّة المتواصلة للإستيطان، ومثل عدم تأييد الهجوم الإسرائيلي على غزة مع عدم اعتبار دولة الإحتلال هي المُعتدية. بالتالي من المرجّح أن تبقى فرنسا تتجاذبها قناعات يصعب التوفيق بينها: فرنسا الصديقة والحليفة الأبديّة للعدوّ الإسرائيلي، فرنسا ذات الرسالة الكونيّة المتميّزة عن باقي أمم العالم وأميركا تحديداً، باريس صديقة وحليفة واشنطن، مصالح فرنسا القوميّة لاسيما الإقتصاديّة ومشاريعها الإقليميّة كالإتّحاد المتوسّطي (وما تفرضه عليها من الإتّزان في المواقف).

٧ – إسرائيل وفلسطين في حسابات ماكرون:

فيما يتعلّق بالقضيّة الفلسطينيّة وعمليّة التسوية فى الشرق الأوسط فإنّ هناك مؤشّرات دالّة على

موقف ماكرون منها، وتتمثّل في ما يلي: إنّ لفرنسا ثوابت لن تتغيّر بشكلٍ كبير، فالحذر كان دائماً عنوان التناول الفرنسي للقضيّة الفلسطينيّة. فعلى الرغم من التركيز فى الأعوام الأخيرة على إحياء المفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي والتمسّك بحلّ الدولتين كأساس لعمليّة التسوية، فإن ضغوطاً من الولايات المتحدة وكيان العدو "تعرقل" حتى الآن ذهاب فرنسا لما هو أبعد من مرحلة "محاولات إحياء عملية السلام". وعلى الرغم من تمسّك ماكرون بحلّ الدولتين، فإنّه يرفض ممارسة ضغوط فعّالة على كيان العدوّ مُعتبراً أنّ شعار "مقاطعة إسرائيل" قد تمّ

حسمه داخليّاً فى فرنسا، وليس هناك عودة إلى الوارء، حيث سبق وأن صدر فى عام ٢٠١٥ حكم قضائي بتجريم شعار "مقاطعة إسرائيل" قانونيّاً. ولكنّه بالتوازي أيّد الإعتراف بشرعيّة الدولة

الفلسطينيّة خاصّة وأنّ البرلمان الفرنسي ذاته قد سبق وأن صوّت بأغلبيّة لصالح المطالبة بالإعتراف بفلسطين كدولة. مع ذلك فهو يرى أنّ الإعتراف الفوري بالدولة الفلسطينية، وفق ما طالب به البرلمان الفرنسي قبل عامين، يزيد من حدّة التوتّر ولن يكون مُجدياً وهو في الوقت ذاته يُندّد بالإستيطان الإسرائيلي وبسياسة نتنياهو التي يعتبرها مخالفة للقانون الدولي.

والمُلاحظ أنّه بعدما ظلّ الصمت الإسرائيلي مستمرّاً تجاه الإنتخابات الفرنسيّة، بدا واضحاً أنّ إيمانيول ماكرون الذي فاز بالرئاسة الفرنسيّة على منافسته اليمينيّة المتطرّفة ماريان لوبان هو الشخصيّة المفضّلة لدى دولة الإحتلال. فبعد أيام من صعوده إلى سدّة حكم الإليزيه قدّم الرئيس الفرنسي الجديد أوراق اعتماده للكيان الصهيوني قبيل تنصيبه رئيساً لفرنسا بقرارٍ صادرٍ عن حزبه يعبّر عن توجّهٍ جديدٍ لتضييق الخناق على كل ما هو مُعارض للإحتلال ومؤيّد للقضيّة الفلسطينيّة.

وفي قرارٍ أغضب القاعدة المؤيّدة للقضيّة الفلسطينيّة في فرنسا، قرّر حزب الرئيس الفرنسي تعليق ترشيح منتج تليفزوني يدعى "كريستيان جيران" في الإنتخابات البرلمانية المُقبلة، وذلك رفضاً لمواقفه المُناهضة للإحتلال الإسرائيلي، في صورة توضح موقف ماكرون من القضيّة الفلسطينيّة.

وتعمّد الرئيس الفرنسي في حملته الإنتخابيّة عدم الخوض في القضيّة الفلسطينيّة، تحسّباً لعدم خسارته الأصوات المنادية بحلّ الأزمة في فرنسا، فيما كانت الأوساط الإسرائيلية قد حبّذت عدم إبداء موقف محدّد من المرشّحين، تحسّباً من أن تؤدّي النتيجة إلى عكس ما ترغبه، ويؤثّر ذلك على العلاقات الفرنسيّة الإسرائيليّة، ولكن كافّة المؤشّرات والسياسات الخفيّة كانت تشير إلى تأييدها لماكرون في وجه حزب اليمين المتطرّف الذي كانت مواقف أعضائه تميل إلى الفكر النازي وكراهية اليهود.

وفي القرار تفاصيل عن أمور تأديبيّة بحقّ المنتج التليفزيوني، بسبب تغريدات له تعبّر عن مواقف مُناهضة للإحتلال الإسرائيلي وللرابطة اليهوديّة الفرنسيّة في باريس. وجاء قرار حزب ماكرون (إلى الامام) بعد ضغوط لرابطة تعرف باسم "ضد العنصريّة ومعاداة السامية"، والتي أعربت في بلاغٍ رسمي عن غضبها لترشيح حزب الجمهورية "إلى الأمام" المنتج المعروف بمواقفه المناهضة لإسرائيل، وتقدّمت الرابطة بطلب إلى ماكرون ليسحب منه الترشيح، مشيرةً إلى أنّ لجنتها القانونيّة تدرس "إمكانيّة تقديم شكوى للنيابة العامة بخصوص ما نُشر من تغريدات".

وكان المنتج "جيران" قد طرح في تغريداته، التي كتبها وأعاد مشاركتها أكثر من مرة، التساؤل حول موعد الفصل بين المجلس الذي يمثّل المؤسّسات اليهوديّة بفرنسا والدولة، كما سبق أن نعت رئيس الوزراء الفرنسي السابق مانويل فالس بـ"الصهيوني والعنصري والمعادي للإسلام"، وفي تغريدةٍ أخرى مثّلت دعماً للقضيّة الفلسطينيّة أكّد أنّ "مقاطعة البضائع الإسرائيلية هو الحلّ الوحيد".

وتعدّ إستجابة حزب ماكرون لطلبات الرابطة المؤيّدة لكيان العدو، أوّل توجّه للإدارة الفرنسيّة الجديدة نحو الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بعد وصولها للحكم، الأمر الذي يشير بوضوح إلى أنّه ينحاز إلى الإحتلال. وما يُشير إلى أنّ العلاقات الفرنسيّة الإسرائيليّة ستكون أكثر حميميّة من عهد الرئيس فرانسوا

فيون هو إحتفاء الصحف الصهيونيّة بفوز ماكرون بالرئاسة الفرنسيّة، كما جاءت تهنئة رئيس وزراء الإحتلال بنيامين نتنياهو لتكون مؤشّراً على توثيق العلاقة بينهما.

وقال موقع يديعوت أحرونوت، تعليقاً على انتخاب ماكرون بأنّه بشرى سارّة جدّاً لـ"إسرائيل" ولـ"الجالية اليهودية" في فرنسا أيضاً، التي بحسب الصحيفة تجنّدت ضدّ مرشّحة اليمين المتطرّف مارين لوبان، خاصّة في ظلّ مواقف الأخيرة ضدّ الطقوس اليهوديّة، مؤكّدة أنّ ماكرون اعتُبِر منذ دخوله الانتخابات مرشّحاً موالياً للعدوّ ومُعارضاً للاعتراف من طرفٍ واحدٍ بدولةٍ فلسطينية، وهو يساند حلّ الدولتين، ولكنّه يعتقد أنّ اعترافاً من طرف واحد بالدولة الفلسطينية لن يُفيد أيّاً من الأطراف. وتشير الصحيفة إلى أنّ ماكرون مقرّب من الجالية اليهودية في فرنسا، وأعرب خلال تولّيه منصب وزير الإقتصاد الفرنسي بين عامي ٢٠١٤-٢٠١٦ عن معارضة شديدة لحركة المقاطعة الدولية، وعارض كل أشكال القرارات الداعية لفرض أي شكل من أشكال المقاطعة ضد إسرائيل، كما كشفت الصحف الإسرائيلية عن أنّ رئيس فرنسا الجديد اتّضح أنّه يقيم علاقة جيّدة ووطيدة مع عضو الكنيست الإسرائيلي، وزير المالية السابق، يائير لابيد، زعيم حزب "يش عتيد" (يوجد مستقبل)، ونقلت الصحيفة عن لابيد قوله عن ماكرون: "إنّه يؤيّدنا جدّاً، وعلى إسرائيل أن تفرح لفوزه، فهو عاقل تجاه تل أبيب ووسطي".

خلال تولّي ماكرون وزارة الاقتصاد (٢٠١٤- ٢٠١٦) أظهر موقفاً قوياً ضد الـ"BDS"، (وهي الحركة العالمية التي بدأت عام ٢٠٠٥ وتسعى لفضح عنصرية الاحتلال الإسرائيلي ووقف كافة أشكال التطبيع معه، من خلال ٣ مبادئ هي مقاطعة (Boycott) منتجات الشركات الإسرائيلية والدولية الداعمة للاحتلال، وسحب الاستثمارات (Divestment) من الشركات الإسرائيلية والشركات الدولية الداعمة للاحتلال، وعقوبات (Sanctions) ضد حكومة الاحتلال).

زار ماكرون الكيان الاسرائيلي قبل سنة ونصف وحلّ ضيفاً على وزير الإقتصاد الإسرائيلي خلال تلك الفترة (أرييه درعي). كما أنّ رئيس حزب "هناك مستقبل" الإسرائيلي يائير لابيد المقرّب جدّاً من ماكرون أكّد أنّ الرئيس الجديد لفرنسا هو دائماً بجانب إسرائيل لذلك "يجب على إسرائيل أن تفرح هذا المساء (بعد إعلان فوز ماكرون)". وبرغم ما سبق تشير "يديعوت"، إلى أنّ هناك مصادر سياسيّة في

الكيان تتوقّع استمرار السياسة الخارجيّة لفرنسا من دون تغيير استراتيجي، معتبرةً أنّ هناك عقبة كبيرة سيصطدم بها ماكرون خلال رئاسته لفرنسا وهي أنّه بلا حزب سياسي.

يؤيّد ماكرون إسرائيل ويُعارض الإعلان الأحادي الجانب لدولة فلسطينية، ويدعم "حل الدولتين" ويرى أنّ الإعلان الأحادي الجانب لن يكون مفيداً لأي طرف من الأطراف.

من ناحيةٍ أخرى وجّهت وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي حوتوبيلي تهنئة باللغة الإنجليزية إلى ماكرون- فور فوزه- جاء فيها "نتطلّع لمواصلة علاقات إسرائيل الوثيقة مع فرنسا". أما زعيمة حزب العمل والمعارضة في البرلمان، شيلي يحيموفيتش، فاعتبرت أنّ فوز ماكرون هو بمثابة "انتصار للديمقراطية الفرنسية وهزيمة لمُعاداة السامية"، مُشيرةً إلى أنّ انتخاب المُرشّح الوسطي يُعزّز التيار المعتدل ويُقوّي الاتّحاد الأوروبي. وقالت يحيموفيتش: "إنّ فوزه الساحق جيّد لفرنسا ولأوروبا وللعالم وللعلاقات بين فرنسا وإسرائيل". وأعرب نائب رئيس الكنيست الإسرائيلي أورين حازان- الذي كان يدعم لوبن- عن قلقه إزاء ما يعنيه ذلك للمعركة ضدّ الإرهاب والتطرّف الإسلامي، وقال: "آمل أن يعرف الرئيس الجديد كيف يضرب التطرّف الإسلامي بيدٍ من حديد ويواجه الإرهاب العالمي المتنامي".

٨ - خاتمة:

بخلاف القضايا الكبرى المتعلّقة بقضايا الإرهاب والديمقراطية، تُشير صحيفة "جيروزاليم بوست" الإسرائيلية إلى أنّ الإسرائيليين يأملون في أن يلتزم الرئيس الفرنسي الجديد ماكرون نهجاً أكثر اعتدالاً من سلفه فرنسوا هولاند فيما يخُص الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وتضيف الصحيفة أنّ فترة حكم هولاند شهدت تهديدات من جانب فرنسا بالاعتراف بدولة فلسطين في حال استمرار تجميد محادثات السلام، كما أنّها قدّمت عمليّة أحاديّة الجانب لتهيئة الظروف للمحادثات، التي طالما خشيت إسرائيل من أن تخلق شروطاً جديدة لفهم الصراع، من شأنها أن تعزّز الدعوة إلى حلّ الدولتين على حدود ما قبل حزيران

١٩٦٧. ومن هذا المنطلق، تتوقّع مصادر سياسيّة في إسرائيل استمرار السياسات الخارجيّة الفرنسيّة التقليديّة، من دون تغييرات استراتيجية، بحسب الصحيفة.

أخيراً ينفي إيمانويل ماكرون، أن يكون مستعدّاً لاتّخاذ خطوة الإعتراف بدولة فلسطين، مثلما وعد الرئيس السابق فرنسوا هولاند الذي هدّد بأنّ باريس ستُقبِل على هذه الخطوة إذا ما استمرّت تل أبيب في المماطلة وعدم إنجاح المبادرة الفرنسية لحلّ الدولتين. وأوضح ماكرون أنّ الاعتراف بدولة فلسطين بشكلٍ أحادي من جانب فرنسا لن يخدم أحداً، بل على العكس ربّما يخلق حالة من عدم الاستقرار، وأضاف: "إذا التزمت فرنسا بالإعتراف بفلسطين من جانبٍ واحد، فإنّنا سنساهم فى خلق خلل، كما سنُضعِف قدرة فرنسا على لعب دور فى استقرار المنطقة، وفى هذا الصراع".